"Language is a Human Limitation" _AD

TRANSLATION MONITOR

Volume 3, Issue 07, December 2006

"Each generation must translate for itself"— T. S. Eliot

Voice Translation between Acting and Communication in Arabic Satellite Television

By Ali Darwish

21 June 2006

Abstract

It is claimed that Arabic satellite television networks have set the translation and interpreting standards for other media networks worldwide. This unsubstantiated claim, which includes subtitling, voiceover and dubbing, largely stems from the confusion in research in this area about the definitions, functions and applications of these modes of voice translation not only in Arabic media but also more alarmingly in Translation and Media Studies at large.

This paper examines these translation modes and techniques at Arabic media networks and argues to the contrary. It distinguishes two main models that are being confused with one another, highlights weaknesses in the current practices at these networks and suggests ways to *remedy* the situation.

Contents

- Introduction
- A Brief Historical Overview
- Subtitling Illiteracy in the West
- Dubbing and Subtitling in Contemporary Media
- Communicative Voice Translation (CVT) versus Rhetorical Voice Translation (RVT)
- Pitfalls of Voice Acting in News and Current Affairs Media Networks
- Concluding Remarks

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

الترجمة الصوتية بين التمثيل والتوصيل في الفضائيات العربية*

بقلم

علي درويش

٢١ حزيران / يونيو ٢٠٠٦

توطئة

مع اقتراب الفضائيات العربية من سن الرشد هذا العام، يُلاحَظُ أن بعضها قد طرأ عليه تغيراتٌ وتطوراتٌ كثيرةٌ من حيث التقنياتُ والأداءُ والمحتوى واللغةُ في بعض مناحيه. وإحدى هذه التطورات اللافتة للنظر والسمع والبصر تختص بالترجمة الصوتية للمقابَلات المسجلة والأفلام الوثائقية والأشرطة الدعائية والتصريحات الرّسمية وما إليها. وما يسترعي الانتباه هنا أن تلك الفضائياتِ الحديثةَ العهدِ والخبرةِ قد أبرزتْ عيوبًا وخِللاً فاضحةً لا في عملياتها ومعاييرها التقنية والمهنية فحسب، بل سلطت الضوء أيضًا على عيوب مؤسسات إعلامية أجنبية غربية عريقة وأخرى أقل عراقة وأصالة في مجالات كثيرة وكشفت عجزاً ونقصاً وضعفاً خطيراً في الترجمة على الصُعُدِ المحلية والإقليمية الجهوية[1] والدولية. ومن الطريف في معرض الحديث أن نسمع بعض المتخصصين العرب المنبهرين في مجالات أخرى في العالم العربي، لاسيما في الصحافة المتخصصة، أن المعايير الدولية للترجمة لم يجر إتباعها في التحقيق في قضية من القضايا ومسألة من المسائل. فيضحك المرء خفيةً وجهارًا لهذا التعليق الساذج الذي ينم عن جهل بمستويات الأداء لا في الترجمة فحسب، بل في نواحٍ كثيرةٍ أخرى من النشاطِ الإنسانيِّ العام في الغرب، فيُصبَغُ الغَربُ دائمًا بصفةِ الرّبِ الكامل المُنزه عن الخطأ والمَعْصوم عن الخطيئة، وبذلك تتسع درجات الذل والاستلاب. وفي أمة كانت بدايتها عبادة الأصنام فثابت إلى رشدها ثم آبت إلى سابق عهدها من الجهل والأمية، يصبح تأليهُ البشرِ وعبادةُ الأصنامِ المتحركة والمركبة بمادة السليكون واللدائن وقطع الغيار محورَ الحياة اليومية والشغلَ الشاغل لجمهرة كبيرة من النخب المنتخبة والمخربة ومن عامة الناس، سواء أكان ذلك في المجالات السياسية أم المجالات المهنية والإعلامية والترفيهية، وما إليها، لا سميا فيما يتعلق بكل ما هو أجنبي أو مؤجنَب. والعربُ أشدُّ الناس معرفة بذلك حتى قالوا في بعض أقاليمهم "بضاعُ الغريب أحلى"[2]، ففاقوا بني البشر في الذّل والتزلف والسجود. ورحم الشاعر حين قال:

---

* موجز لدراسة مفصلة باللغة الإنجليزية. انظر كذلك كتاب (أزمة اللغة والترجمة والهوية) للمؤلف ، ٢٠٠٥.

[1] يمتاز المغرب العربي باستخدام اللفظ (جهوي) من (جهة) مقابل (regional) بينما ينتشر اللفظ (إقليمي) في المشرق العربي.

[2] أي مجامعته.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

خَلَفتَ خَلفًا وَلَم تَدَعْ خَلَفًا[3]　　　　ليتَ بهِم كان لا بَكَ التَّلَفُ

ذلك أنه وفي ما يعنينا في سياق الموضوع لا توجد معايير دولية متفق عليها بالنسبة إلى الترجمة، لا في المجال القانوني ولا في المجال الإعلامي ولا في غيرهما، وَجُلُّ ما يُمَارَسُ في تلك المجالات هو بالفطرة والسليقة والاستقراء المهني حسبما تمليه الظروف والبيئة والحدث. فرغم النشاط الحثيث في الثلث الأخير من القرن المنصرم في مجال الأبحاث المتعلقة بالترجمة ونظرياتها وتطبيقاتها ومعاييرها ومقاييسها، فما يزال العالم الغربي والعالم الشرقي وما يسقط بينهما في بالوعة "الشرق الأوسط الكبير" يفتقر إلى معايير واضحة ومحددة ومقيسة ومتفق عليها بين المحترفين، ومازال الجهل يسيطر على معظم العاملين والقائمين في معظم الميادين والدواوين، وما انفك المشتغلون والمحترفون والقيّمون يتخبطون في تطوير مناهج وطرائق وأساليب وأنماط للعمل والتصرف والأداء والإنتاج، فيما يوصف في معظمه بأنه تجربة وخطأ لا يستند إلى منهجيات متكاملة، سرعان ما تتغير بتغير المسؤولين والمشرفين على تلك المشاريع الواهية في أغلب الأحيان. ولا تختلف الممارسات في هذا الصدد بين ما يسمى بالدول المتقدمة والدول المتخلفة أو النامية والمستنمية. فالكل سواء في الممارسات والأداء، وما الاختلاف سوى في طريقة العرض والتعبير والحنكة في ضبط العواطف والفصال المهني[4].

ولا شك أن الإعلام العربي الفضائي بشكل خاص والجاد منه تحديداً قد أحدث ثورة في مجالات كثيرة دعت المؤسسات الغربية إلى إعادة النظر في أدائها ومعاييرها، ومنها موضوع هذا المقال، أعني الترجمة الصوتية وتفرعاتها ومشتقاتها. وما يثير الدهشة أن باحثًا من الباحثين ولاهثا من اللاهثين الغربيين يزعم بأن العالم كله أضحى يعتمد المعايير التي تعتمدها تلك الفضائيات العربية. فإذا كان هذا الزعم المضحك صحيحاً فتلك هي الطامة الكبرى والكارثة الفظيعة، والدليل القاطع في الوقت نفسه على تخلف المستويات وتخبطها فيما يسمى بالعالم الغربي وفي العالم أجمع. فتبني العالم معايير يشوبها الخلل ويعتريها الضعف وتسودها الفوضى أمر يدل على افتقار الجميع إلى الوعي بالممارسات الفضلى والمعايير المثلى والإجراءات السليمة التي تكفل جودة النتاج والأداء، رغم المزاعم والتهافت والإدعاء.

وما يلفت النظر هنا، بالنسبة إلى الترجمة الصوتية في الإعلام العربي الفضائي والإعلام عامة، نمطان مختلفان هما التمثيل والتوصيل الصوتيان، أو التمثيل الصوتي والامتطاء الصوتي، أو ما يعرف في

---

[3] لمن يريد التعمق، ميزت العربية بين (الخَلْف) الطالح باللام المسكنة و(الخَلَف) الصالح باللام المفتوحة.

[4] الفصال المهني هو ما يعرف في الإنجليزية بـ (professional detachment). في معظم الأحوال تخضع هذه الأمور لأهواء ونزوات القائمين على تلك المشاريع والعمليات. فتجدهم يفرضون مناظيرهم أو مناظير أسيادهم أو قراءات مجزوءة ومنقوصة لكتب ومؤلفات فيحفظ الواحد منهم كلمة أو كلمتين أو مصطلحًا أو مصطلحين فيظن أنه ملك ناصية العلم والمعرفة، وينسى وظيفة المصطلح الأساس وهي البيان والتبيين والإفصاح والتبليغ، فتجده سجين مصطلحاته وحبيس مفرداته وأسير ألفاظه، عاملاً بنصيحة الكاتب الأيرلندي الشهير جيمس جويس القائل بأن التفوق في الغموض. ثم يمتحنك في مصطلحاته التي لا تتخطى حدود جمجمته وجماجم أسياده، أو "مدارسهم" الفكرية واللغوية. فحذار أن تستخدم مصطلحات جديدة واضحة مبتكرة، فهذا أمر يتعارض ومبدأ البحث الجاد الذي يرتكز في جله على مصطلحات غامضة مضطربة تعبر عن مفاهيم أشد غموضًا واضطرابًا. واللاهثون لهم عشرة الأمثال!

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

مجال الترجمة الصوتية في اللغة الإنجليزية بـ(voice acting) و(voiceover)[5] تباعاً. سأحاول فيما يأتي الوقوفَ على بعض نواحيهما وتطبيقاتهما ومحاسنهما وعيوبهما في الإعلام العربي الفضائي.

لمحة تاريخية موجزة

لقد كانت شركات التلفزة والسينما في العالم العربي في القرن المنصرم تعتمد الترجمة النصية أو التنصيص (أو ما يعرف في الإنجليزية بـ subtitling) لتوصيل المحتوى اللغوي للأفلام والبرامج الأجنبية المستوردة إلى المشاهد العربي الذي لم يكن على معرفة واسعة باللغات الأجنبية في أغلب الأحيان، لاسيما بالنسبة إلى الطبقات الفقيرة. فكانت الأفلام المستوردة تخضع لعملية تنصيص بدائية تتألف من طبع الجمل والعبارات مباشرة في الشريط اللدن بواسطة قوالب محفورة بالزنك يُصار إلى كبسها في الشريط بعد تمريره في محلول كحولي لتطريته وتغليفه بمذاب شمعي لحمايته من الضرر فيسهل حفر النص فيه. وفي نهاية السبعينيات راح بعض الشركات ودورٍ التلفزة في بعض البلدان العربية، وكانت الكويت سباقة إلى ذلك، يستخدم أشرطة الفيديو، فصارت الترجمة النصية تُطبع على شريط ورقي منفصل، يتم توليفه بعرضه بالتزامن مع شريط الفيديو ذاته. ثم سرعان ما انتقلت إلى الدبلجة فكلفت شركات لبنانية أو وظفت ممثلين ومخرجين من لبنان للقيام بذلك في البداية. وكانت المحاولات الأولى منحصرة بادئ الأمر في مسلسلات الرسوم المتحركة المستوردة من اليابان، مثل جراندايزر والرجل الحديدي وسنشيرو وزينة ونحول وسنان. ولقد تطورت هذه التقنية تطوراً هائلاً منذ تلك الأيام الأولى إلى ما هي عليه اليوم حتى صار أي هاوٍ وغر ومتحذلق وثائرٍ يستطيع إنتاج برامج منصصة بكل سهولة ويسر ودون دراية بشروط الترجمة وتقنياتها وأسسها ومعاييرها بشكل عام والتنصيص بشكل خاص.

أميّــــة التنصيص في الغــــرب

مما لا شك فيه أن الترجمة النصية تقنية أو أسلوب كان وما يزال شائعًا في دول العالم الثالث، ومنها الدول العربية، وقد فات القائمين على تلك المشاريع الإعلامية الحديثة أن تلك الدول المستنمية تمتاز عن غيرها في مجال التواصل المرئي في مهارة مفروضة لا تتأتى بسهولة للشعوب المترفة في ما يسمى الدول المتقدمة. وهذه المهارة هي قدرة الشعوب في تلك البلدان، التي تسعى جاهدة في بعض الأحيان إلى مواكبة التطور والتقنية، على قراءة الترجمة التي تصاحب الأفلام والبرامج الأجنبية،

[5] تترجم المعاجم العربية الثنائية هذا المصطلح (voiceover) بالصوت المرافق (المورد الأكبر) والصوت التلقيني (المغني الكبير) ورواية أحداث فيلم بصوت لا تظهر صورة صاحبه (قاموس أكسفورد المحيط). وكلها تفتقر إلى التعريف التقني الدقيق. وقد اخترت (الامتطاء) هنا لأن الصوت الجديد "يمتطي" الصوت الأصلي أو الحيز أو المضمار أو المسار الذي كان يشغله. من امتطى يمتطي امتطاء الدابة جعلها مطية تمطو في سيرها، أي تجد وتسرع في سيرها لا تحيد عنه، سواءُ أكان الصوت الأصلي مسموعًا أم لم يكن.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

ترفيهية أم وثائقية. فقد شبت أجيال وشابت في تلك البلدان على مشاهدة الأفلام المنصصة، فتطورت عندها مهارة قراءة الترجمة ومتابعة الصورة في آن معاً. ولم يدفع بتلك الشعوب إلى ذلك حب التميز والامتياز، بل التخلف التقني والأوضاع الاقتصادية، وفي أحيان كثيرة غياب الاعتزاز القومي بلغاتهم والنظرة الذليلة المندهشة والمشدوهة إلى الأسياد المعصومين عن الخطأ، كما هي الحال عند العرب. فتكيفت مع المحددات والمقيدات التقنية فنمت عندها تلك القدرة والمهارة. أما الشعوب الغربية في أوروبا والولايات المتحدة فلم تضطر إلى تطوير تلك المهارة، إذ كانت في كثير من الأحيان منشأ تلك البرامج التي كانت تُنْتَجُ بلغاتها الوطنية فلم تلجأ إلى الترجمة إلا لإظهار فوقية وعنصرية واستعلاء. فكم من متحدث أجنبي[6] كان كلامه الإنجليزي واضحًا للجميع فقامت تلك الوسائل العنصرية والمتغطرسة بتنصيص كلامه بحجة أنه غير مفهوم للمشاهد الأجنبي النقي المرهف الحس المعتز بلغته والذي يأنف من كل صوت أجنبي حتى أصبح ذلك موضوع فكاهة ونكات![7] وفي الحالات المحدودة التي اضطرت إلى مشاهدة أفلام مستوردة لاسيما من أميركا لجأت إلى الدبلجة (dubbing) بدلاً من التنصيص، لأربعة أمور: الأول هو الكرامة الوطنية التي أبت أن تخضع المشاهدين للغات أجنبية مهما تكن مصادرها، والثاني توافر المال لتحمل نفقات الدبلجة والثالث توافر التقنيات التي سمحت لهم بالدبلجة. والرابع هو جهلهم بناحية مهمة جدًا ألا وهي التجربة الإنسانية للمشاهد وتجاوبه مع الأصوات الأصلية، وقد حُرم المشاهد الغربي منها في كثير من الأحيان بدافع تلك الأسباب وغيرها، لاسيما استعلاؤه وتعاليه على الحضارات واللغات الأخرى التي طالما نظر إليها نظرة دونية لا تستحق الاهتمام في نقل التجارب الإنسانية عبر الوسط المرئي.

[6] من الملاحظ على سبيل المثال في هذا المجال أن الإعلام البريطاني والأميركي كان ينصص حديث الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في مرحلة ما قبل أوسلو، ثم رضوا عنه فصار كلامه الإنجليزي واضحًا ومفهومًا فجأة. ثم غضبوا عليه فاستغلق كلامه عليهم فعادوا في مناسبات كثيرة إلى تنصيص كلامه. وغالبًا ما كان ومازال التنصيص يستخدم لأغراض سياسية بحتة لا علاقة لها بالأمانة في نقل الخبر والمعلومة.

[7] قد يُظهر لكم المثالُ الحيُ الآتي مدى صحة هذه الملاحظة. من بين ستين طالبًا وطالبةً ينتمون إلى جنسيات ولغات مختلفة منها العربية والصينية واليونانية والمقدونية والتركية والإسبانية والإيطالية والفارسية والكورية واليابانية في حصص الترجمة ونظرياتها التي كنت أدرسها على مدى سبع سنوات في إحدى الجامعات الأسترالية، لم أسمع احتجاجاً واحداً وتذمرًا وتبرمًا وتململاً وشكوى من أحد على مدى تلك الأعوام لاضطراره إلى سماع لغات أخرى من زملاء له في الحصة إلا من طلاب بل طالبات لغة الصم والبكم أو ما يعرف بلغة الإشارة الأسترالية (Auslan) الناطقات باللغة الإنجليزية فقط. وقد احتجت إحداهن ذات مرة على فظاظة اللغات الأخرى وبشاعتها وغلظها ووحشيتها. وضجت بها الدنيا وضاجت وماجت وكادت تخرج من الحصة لأن دماغها "المتفوق" لم يستطع استيعاب تلك الأصوات "المتخلفة". مثال آخر على هذه العنجهية وضيق الأفق في البلدان المتنورة المتعددة "الثقافات". في مطلع الثمانينيات عملت في إحدى الشركات الأميركية في بلد عربي. وكنت وجمع من الزملاء نجلس في مكان عملنا في قسم شؤون الموظفين، وكنا نتحدث بالطبع باللغة العربية في بلد عربي عريق، قبل أن يصيب تلك الأمة العربية العاثرة مرض الاستلاب اللغوي. فدخلت علينا ممرضة بريطانية (وعليك أن تلفظها bri TAniyyah، على طريقة الإعلام العربي الذليل الماجن العاهر، وبرى يلعق حذاء سيده)، فصرخت بحنق وغضب: Speak a civilized language، تقصد اللغة الإنجليزية، وهي في بلد عربي. فأدمغتهم تكل وتمل من اللغات "الدونية" الأخرى. كاتبة بريطانية أيضًا كتبت في منتصف الثمانينيات في مجلة متخصصة في اللغات والترجمة تصف الأصوات العربية برغاء الجمل وثغاء الماعز والخراف. والقائمة طويلة.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

لقطة فيديو تسخر من الاستخدام الاستعلائي للتنصيص في الأخبار الغربية

وحاصل هذه الأمور أن الشعوب الغربية تأنف من التنصيص فقد تعودت الدبلجة، على ما فيها من عيوب ونواقص، أهمها إخراس أصوات المتحدثين الأصليين وإضفاء خصائص مصطنعة وزائفة عبر الدبلجة. وهذا الأمر مخالف في جوهره للشفافية والمصداقية، لاسيما في نشرات الأخبار والتقارير والوثائقيات والإعلام الجاد عمومًا. وثمة من يقول إن التنصيص يتطلب جهداً زائداً من جانب المشاهد في مزامنة الصوت والنص، فيؤدي ذلك إلى ضياع بعض الجوانب من العمل المعروض. ولعلّ في هذه الناحية نظرًا، ولكن المهارة في مواكبة التنصيص تتطور حكماً بالاضطرار، وسرعان ما تزول هذه المشكلة وتصبح غير ذي أهمية تذكر. بل إن سماع الصوت الأصلي بأبعاده الإنسانية هو بلا جدل تجربة أكثر غنى وروعةً من سماع صوت زائف مدبلج. ولاشك أن مساحة العرض المتوافرة في شاشة التلفاز التي تعرض شريطاً إخباريًا في أسفلها تقليدًا وشعار الفضائية في ركن كبير منها لا تبقي مساحة كافية للتنصيص. وهذه إحدى الاعتبارات السلبية بالنسبة إلى التنصيص في ذلك الوسط الإعلامي، ناهيك عن المحددات الزمنية للبث المباشر.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

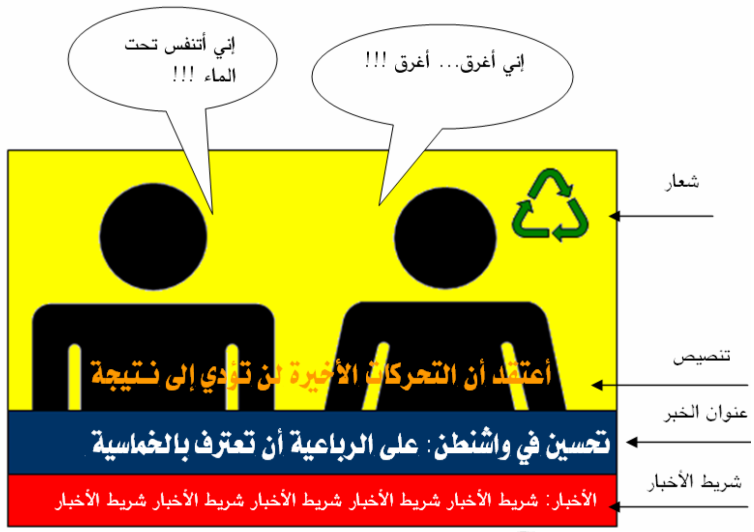

الدبلجة والتنصيص في الإعلام المعاصر

مع الطفرة الإعلامية في الآونة الأخيرة، توافرت التقنيات والوسائل التي مكّنت تلك الفضائيات الناطقة بالعربية من إنتاج برامج حية ومسجلة تعتمد في جلها على الدبلجة، بعضها كان من إنتاجها المباشر وبعضها من إنتاج شركات خارجية ومعظمها برامج رخيصة من الدرجة الثانية أو قديمة مستوردة من شركات بريطانية وأميركية، تفاوتت في جودتها. ولكن تقليد تلك الفضائيات للعيوب والمثالب الغربية لم يسعفها في تقديم برامج تحتفظ بتلك التجربة وتنقل إلى المشاهد البرنامج بكل أبعاده، سواء أكان ذلك في نشرات الأخبار الحية أم في التقارير المترجمة والمعدة مسبقًا. فقد انتهجت الفضائيات العربية، لاسيما الإخبارية منها، نهج الفضائيات والأرضيات الأجنبية، وبخاصة الأميركية والبريطانية، في دبلجة الأصوات الأجنبية في نشرات الأخبار والبرامج الوثائقية وغيرها، ظناً منها بأن هذا هو النهج الصحيح وأن تقليد تلك المؤسسات الإعلامية المرموقة هو النهج السوي والمناسب والصالح بغض النظر عن طبيعة المشاهد واحتياجاته ومهاراته والخواص الحضارية للمجتمعات المستهدفة. ولكن اعتماد تلك الوسائل الغربية الدبلجة في المقام الأول لم يكن قراراً مبنيًا على اعتبارات عملية أو معايير ثابتة بل هو افتقار للخبرة في هذا المجال. فرغم التاريخ الطويل للاستعمار البريطاني وتعامله مع الشعوب المستعمَرة لم تكن لدى البريطانيين الخبرة أو التجربة في اعتماد التنصيص إلا بشكل محدود ومبعثر هنا وهناك في بعض البرامج التي لم تستدع وضع معايير وتقنيات تأخذ في الحسبان تلك الخواص، ولم يكن لديها الميل إلى استيعابها. ولمّا كان العقل البريطاني يضجر من التنصيص، فقلما لجأ المنتجون إليه، كما أسلفنا، واعتمدوا الدبلجة التي لا تعير أي اهتمام لسماع الصوت الأصلي. فالهم الأوحد هو تبليغ فحوى الكلام، أو هكذا يخيل لهم، إلى المشاهد الذي لا يأبه بالكلام الأصلي "المتخلف" ولا يكترث له. وفي الحالات التي عمدوا فيها إلى الدبلجة لم يميزوا في كثير من الأحيان بين نمطين من الترجمة الصوتية، هما كما أسلفنا التمثيل الصوتي والامتطاء الصوتي،

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

فخلطوا بين النمطين لاسيما في تقاريرهم الإخبارية وتحقيقاتهم الصحافية، ولمّا تتبلور لديهم بعد فكرة واضحة عن الفرق بين النمطين، إلا في مواضع محدودة جدًا.

الترجمة الصوتية البيانية والترجمة الصوتية البلاغية

باعتماد الفضائيات العربية المقلدة أسلوب الدبلجة في نشراتها الإخبارية وبرامجها الوثائقية (ولعل لفظ "التدبيج" هو الأقرب هنا إلى (dubbing)، فدَبَجَ الشيءَ يدبُجُ دَبْجًا، ودبّجه: نقشه وزيَّنَه، والديباج والديباجة: الطبقة الحسنة وما يتصدر الشيء)، يسود تلك البرامج نهج التمثيل الصوتي (voice acting)، بحيث يقوم المدبلج بمحاكاة وتقليد وإعادة توليد الخواص البلاغية والمعالم المصاحبة للمحتوى البياني للصوت الأصلي (paralinguistic features)، سواء أكان الصوت الأصلي مكتومًا أم مسموعاً. فيقلد المتحدث في نبرته وحدة صوته وارتفاعه وانخفاضه، فإنْ رفع المتحدث الأصلي صوته رفع صوته وإن خفضه خفض صوته وإن صرخ المتحدث الأصلي صرخ مثله وإن بكى بكى مثله وإن ضحك أو عطس أو سعل قلده تقليداً، فيما يعرف بالتّمرّي السلوكي أو (behavioral mirroring) وهو سلوك انعكاسي غير مقبول في النشرات والتقارير التي يُفترض أن تنقل الخبر والمحتوى البياني بدرجة كبيرة من الموضوعية. ناهيك عن أن البشر من أينما أتوا يستطيعون تمييز أمارات الحب والعطف والغضب والحزن والأسى والارتياحِ وغيرها من المشاعر والعواطف والانفعالات والأحاسيس الإنسانية دون الحاجة إلى معرفةِ الواحدِ لغةَ الآخر. فمن يرَ أو يسمعْ امرأة تبكي يعرفْ أنها تبكي ورجلاً يصرخ غاضباً يعرف أنه غاضب، وطفلاً يتضور جوعاً يعرف أنه جائع سغب، ومحامياً يتهكم ويستهزئ يعرف أنه يتهكم ويستهزئ – اللهم إلا إذا كان أحدهم من كوكب المريخ والآخر من المشتري ولهما رموز وطرائق للتعبير لا يعرفها البشر. فالانفعالات الإنسانية تتخطى اللغات والمفردات إلى جوهرنا وما يجعل منا نحن البشرَ بشراً.[8] ويمكن تسمية هذا النوع من الأداء بالترجمة الصوتية البلاغية (rhetorical Voice Translation). والبلاغة هنا هي حُسنُ البيان وقوة التأثير ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وما يصاحب المحتوى البياني من خواص صوتية.

أما الامتطاء الصوتي (voiceover)، فيندر اعتماده في هذه الفضائيات. والامتطاء الصوتي هو توليد الصوت الأصلي بلغة الهدف دون اللجوء إلى إعادة توليد الخواص والمعالم المصاحبة للمحتوى البياني. بل يكون الصوت الجديد محايدًا خاليًا من الانفعالات. ولا يقتضي ذلك أن يكون الصوت الأصلي مسموعًا كليًا أو بشكل جزئي يغيب ويظهر أو مكتومًا. بيد أنه من المستحسن أن يبقى الصوت الأصلي مسموعًا في البداية ثم يبدأ بالخفوت والتلاشي بين الفواصل حتى يظهر الصوت المدبلج بين المقطع والآخر، بحيث يتيح للمشاهد سماع الصوت الأصلي فيعزز ذلك الصلة بينه وبين الواقع أو الحدث المنقول عبر الدبلجة ويعزز من مصداقية الخبر. ويمكن تسمية هذا النوع من الأداء بالترجمة الصوتية البيانية[9] (Communicative Voice Translation).

---

[8] انظر دليل الترجمان للمؤلف، ٢٠٠٣.

[9] البيان هو الكشف والتوضيح والإفصاح. والفرق بين البيان والتبيان هو أن البيان عمل اللسان والتبيان عمل الجنان.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

عيوب التمثيل الصوتي في الفضائيات الإخبارية

من الخطأ المعيب الافتراض بأن الدبلجة الإخبارية والوثائقية تقتضي التمثيل الصوتي. فالتمثيل الصوتي كما أسلفنا مخالف لمبدأ الحياد والموضوعية في نقل الأخبار والتقارير والتحقيقات. ذلك أن تقليد الخواص والمعالم المصاحبة للمحتوي البياني يضيف إليه عناصر زائفة لا تعكس عكسًا أمينًا وصادقًا الخبر أو الحقائق المزمع نقلها إلى المشاهد وتصرف انتباهه عن التجربة الإنسانية التي يحاول ناقل الخبر نقلها إليه عبر الصوت والصورة. ولما كانت طبيعة الإعلام طبيعة تأطيرية، أي أنها انتقائية في نقل الخبر وكيفية عرضه فإن التمثيل الصوتي عامل آخر في عملية التأطير عبر وضع الخبر خارج بيئة الحدث الأصلية.

أما المطابقة بين جنس المتحدث الأصلي وجنس الممثل المدبلِج فهو أمر معيب آخر. وهو ما تفعله الفضائيات الأجنبية وتقلدها بكل حماقة وغرور الفضائيات العربية. فإذا كان المتحدث الأصلي ذكرًا اختاروا له صوت ذكر يدبلجه. وإذا كان المتحدث أنثى اختاروا لها صوت أنثى يدبلج صوتها، بغض النظر عن جودة الصوت المدبلج الذي يكون في معظم الأحيان كصوت الفئران والجرذان أو صوت الرعود والأعاصير المعوية. فإذا بالمنفذين لا يعرفون تقنيات الدبلجة والتنصيص ما عدا ما تعلموه من أسيادهم في معاهد الغرب الجاهلة فيتخبطون فيه. بل الواجب أو الشرط التقني الأساس في الترجمة الصوتية لنشرات الأخبار والتقارير الإخبارية والوثائقية هو توليد التضاد (contrast) بين الصوت الأصلي والصوت المدبلج بحيث لا يطغى أحد الصوتين على الآخر فيتضارب والصوت الأصلي ويحدث ضجيجًا لا مسوغ ولا مبرر له يصيب المشاهد بالصداع ويصرفه عن مادة البرنامج، ودون أن يصار إلى إسكات الصوت الأصلي بشكل تام، كما يحدث في معظم النشرات والبرامج الوثائقية. والمشاهد إذ يرى الأشخاص في البرنامج يدرك من الذكر ومن الأنثى ولا يحتاج إلى صوت بديل ذكري أو أنثوي يطابق الصوت الأصلي ويعرف أن ما يسمعه هو دبلجة لكلام أصلي. فإذا بالأنثى المدبلِجة تصرخ بالمشاهدين وكأنها تعاني توتر إرهاصات المحيض، وإذا بالذكر يخور خوارًا فكأنه ثور يساق إلى الذبح أو جاموس مرتعش على وشك الانفجار! فلا يكفي المشاهد أن يسمع إلقاء المذيعين والمذيعات المقزز الصاعد والنازل في غير محله وموضعه كأن أحدًا يدوس على أذنابهم فيرتفع صوتهم حيث لا حاجة لرفعه وينخفض حيث تدعو الحاجة إلى رفعه[10]، فمن الواجب أيضًا أن يتحمل تلك الأصوات النشاز في أحاديث وكلام الناس الذين يستضيفونهم أو ينقلون كلامهم من لغات أخرى.

[10] تقول إحدى المذيعات "هذا البرنامج يأتيكم في الساعة كذا بتوقيت مكة المكرمة والساعة كذا" ثم تبيض فجأة وتقيق رافعة صوتها "بتوقيت غرينيتش". فكأنّ لغرينيتش مقامًا مميزًا خاصًا.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

خاتمة

لقد اختلف الباحثون الغربيون في تعريف هذا النمط من الترجمة الصوتية (أي الدبلجة) والتبست التعريفات بين الدبلجة (dubbing) والإبدال الصوتي (revoicing)، وتداخلت هذه التعريفات فيما بينها وفي تحديد تطبيقاتها، بما يعكسه التخبط الحاصل في تلك الفضائيات والوسائل الإعلامية الأخرى. وفي مجمل الأحوال ثمة اتفاق بأن الدبلجة (dubbing) تنحصر في: إبدال الصوت الأصلي بصوت يسعى إلى مطابقة الصوت الأصلي في سرعته وتوقيته وتقطيع كلامه وحركة شفاه المتحدثين. أما الإبدال الصوتي (revoicing) فقد يكون امتطاء صوتيًا أو سردًا أو تعليقاً لا تتحكم فيه قيود التطابق بين الشفتين والصوت المضاف.[11] بيد أنهم لم يميزوا بين التوصيل والتمثيل في الترجمة الصوتية فيما يتعلق بطريقة الأداء، واشتمل مصطلح الامتطاء الصوتي على النمطين في وجه العموم. وحصروا بحوثهم في تقنيات الإنتاج وآلياته، ولم يلتفتوا إلى متطلبات الترجمة الصوتية في البرامج الإخبارية والوثائقية. فأظهر أداء الفضائيات العربية عيوبًا وضعفاً في أداء تلك الوسائل الإعلامية الغربية فحل بها ما حل بربيباتها العربية من انبهار ارتجاعي فظنت أن ما تفعله تلك الربيبات الرضيعات هو عين الصواب. فتهافت المتهافتون وتدافع المتدافعون لدراسة هذه الظاهرة الجديدة واستخلاص الدروس والعبر منها لكي يطبقوها في برامجهم وعملياتهم.

والأغرب من هذا الوضع المعكوس المقلوب أن الفضائيات العربية صارت، وإن بشكل محدود وخجول، تقلد الإعلام الغربي في تنصيص اللهجات المحلية، لا سيما المغاربية، أو تدبلج الصوت باللغة الفصيحة، على غرار الإعلام الأميركي وتعامله الاستعلائيٍ مع اللهجات الإنجليزية الغريبة كالإسكتلندية والأيرلندية والهندية، فلا نسمع صوت المتحدث إلا نادراً، بدلاً من أن تثقف المشاهد وتعوده على اللهجات في المغرب العربي، مثلا، فتقارب بذلك بينه وبين إخوته وأشقائه في تلك المنطقة. ولا شك أن تلك الفضائيات الربيبات قد قطعت شوطاً في مضمار الترجمة الصوتية، ولكنها ما تزال تنظر إلى أسيادها بحثًا عن حلول خارج بيئتها، وفاقد الشيء لا يعطيه، كما يقولون، ولكن قصة الإعلام العربي كقصة القرد والنجار، ولكن "السكافي حافي والحايك عريان"!

جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

أنجزت المسودة الأخيرة في ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦

[11] انظر كذلك منى بكر في موسوعة روتليدج لدراسات الترجمة، ١٩٩٨.

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

حقوق الملكية الفكرية للمؤلف

يا قــارئَ المكتوبِ فكّــرْ في الـــــذي كُتبا
واحفــظْ حقوقَ الفكرِ في المخطوطِ محتسِبا
لا تــأخــذنَّ النــصَّ من مخـــــزونِ كاتبــه
أو تــدعي فــي العِــلمِ فضــلَ الغيــرِ منتسبا
واحـــذرْ فـإن الفــكرَ معــقودٌ لصـــاحبِــهِ
مهـــما تمـادى الغيـرُ في المنسوخِ مكتسبا
هــذي سطــورٌ مــن جنــى الأيّـــامِ أكتبُـها
فاذكـرْ إذاً في العـــلمِ والآدابِ من كَتَـــبا

المؤلف

Copyright © 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.